سورة الملك
وهي مكية بإجماعهم
قال ابن مسعود هي المانعة من عذاب القبر.
بسم الله الرحمن الرحيم
{تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَ ٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ * ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَـٰوُتٍ فَ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ * ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ * وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَجَعَلْنَـٰهَا رُجُوماً لِّلشَّيَـٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ * وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ * إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِى ضَلَـٰلٍ كَبِيرٍ * وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ * فَ ٱعْتَرَفُواْ بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ }
قوله تعالى: {تَبَـٰرَكَ } قد شرحناه في [الأعراف:54].
قوله تعالى: { ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ } قال ابن عباس: يعني: السلطان يعز ويذل.
قوله تعالى: { ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَ ٱلْحَيَوٰةَ } قال الحسن: خلق الموت المزيل للحياة، والحياة التي هي ضد الموت {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً } قد شرحناه في [هود:7] قال الزجاج: والمعلق ب {أَيُّكُمْ } مضمر تقديره: ليبلوكم، فيعلم أيكم أحسن عملا، وهذا علم وقوع. وارتفعت «أي» بالابتداء، ولا يعمل فيها ما قبلها، لأنها على أصل الاستفهام، ومثله «أي الحزبين أحصى» [الكهف:12] والمعنى: خلق الحياة ليختبركم فيها، وخلق الموت ليبعثكم ويجازيكم. وقال غيره: اللام في «ليبلوكم» متعلق بخلق الحياة دون خلق الموت، لأن الابتلاء بالحياة، { ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ * سَمَـٰوَاتٍ * طِبَاقاً } أي: خلقهن مطابقات، أي: بعضها فوق بعض {مَّا تَرَىٰ } يا ابن آدم {فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَـٰوُتٍ } قرأ حمزة والكسائي: «من تفوت» بتشديد الواو من غير ألف. وقرأ الباقون بألف. قال الفراء: وهما بمنزلة واحدة، كما تقول: تعاهدت الشيء، وتعهدته. والتفاوت: الاختلاف. وقال ابن قتيبة: التفاوت: الاضطراب والاختلاف، وأصله من الفوت، وهو أن يفوت شيء شيئا، فيقع الخلل، ولكنه متصل بعضه ببعض.

قوله تعالى: {فَ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ } أي: كرر البصر {هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ } وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، «هل ترى» بإدغام اللام في التاء، أي: هل ترى فيها فروجا وصدوعا.
قوله تعالى: {ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ } أي: مرة بعد مرة {يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا } قال ابن قتيبة: أي: مبعدا من قولك: خسأت الكلب: إذا باعدته {وَهُوَ حَسِيرٌ } أي: كليل منقطع عن أن يلحق ما نظر إليه. وقال الزجاج: قد أعيا من قبل أن يرى في المساء خللا.
قوله تعالى: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَاء ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ } وقد شرحناه في [حم السجدة:12] {وَجَعَلْنَـٰهَا رُجُوماً لِّلشَّيَـٰطِينِ } أي: يرجم بها مسترقوا السمع. وقد سبق بيان هذا المعنى [الحجر:18] {وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ } أي: في الآخرة {عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ } وهذا وما بعده قد سبق بيانه إلى قوله تعالى: {سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا } أي: صوتا مثل صوت الحمار. وقد بينا معنى الشهيق في [هود:106] {وَهِىَ تَفُورُ } أي: تغلي بهم كغلي المرجل {تَكَادُ تَمَيَّزُ } أي: تتقطع من تغيظها عليهم {كُلَّمَا أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ } أي: جماعة منهم {سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ } وهذا سؤال توبيخ.
قوله تعالى: {إِنْ أَنتُمْ } أي: قلنا للرسل: {إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِى ضَلَـٰلٍ } أي: في ذهاب عن الحق بعيد. قال الزجاج: ثم اعترفوا بجهلهم فقالوا: {لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ } أي: سماع من يعي ويفكر {أَوْ نَعْقِلُ } عقل من يميز وينظر {مَا كُنَّا } من أهل النار {فَسُحْقًا } أي: بعدا. وهو منصوب على المصدر، المعنى: أسحقهم الله سحقا، أي: باعدهم الله من رحمته مباعدة، والسحيق: البعيد. وكذلك روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس «فسحقا» أي: بعدا. وقال سعيد بن جبير، وأبو صالح: السحق: واد في جهنم يقال له: سحق.

{إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ * وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ * أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ * هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ }
قوله تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ } قد شرحناه في [سورة الأنبياء: 49] {لَهُم مَّغْفِرَةٌ } لذنوبهم {وَأَجْرٌ كَبِيرٌ } وهو: الجنة. ثم عاد إلى خطاب الكفار، فقال تعالى: {وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِ } قال ابن عباس: نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيخبره جبرائيل بما قالوا، فيقول بعضهم: أسروا قولكم حتى لا يسمع إله محمد.
قوله تعالى: {أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ } أي: ألا يعلم ما في الصدور خالقها؟ «واللطيف» مشروح في [الأنعام:103] «والخبير» في [البقرة:234].
قوله تعالى: {هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ ذَلُولاً } أي: مذللة سهلة لم يجعلها ممتنعة بالحزونة والغلظ.
قوله تعالى: {فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا } فيه ثلاثة اقوال:
أحدها: طرقاتها، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد.
والثاني: جبالها، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة، واختاره الزجاج، قال: لأن المعنى: سهل لكم السلوك فيها، فإذا أمكنكم السلوك في جبالها، فهو أبلغ في التذليل.
والثالث: في جوانبها، قاله مقاتل، والفراء، وأبو عبيدة، واختاره ابن قتيبة، قال: ومنكبا الرجل: جانباه.
قوله تعالى: {وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ } أي: إليه تبعثون من قبوركم.
{أَءَمِنتُمْ مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنتُمْ مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَـٰصِباً فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ * وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نكِيرِ * أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَـٰفَّـٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ ٱلرَّحْمَـٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ بَصِيرٌ }
ثم خوف الكفار فقال: {أَءمِنتُمْ } قرأ ابن كثير: «وإليه النشور وأمنتم» وقرأ نافع، وأبو عمرو: «النشور آمنتم» بهمزة ممدودة. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «أأمنتم» بهمزتين {مَّن فِى ٱلسَّمَاء } قال ابن عباس: أمنتم عذاب من في السماء، وهو الله عز وجل؟ «وتمور» بمعنى تدور. قال مقاتل: والمعنى: تدور بكم إلى الأرض السفلى.
قوله تعالى: {أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَـٰصِباً } وهي: الحجارة، كما أرسل على قوم لوط {فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ } أي: كيف كانت عاقبة إنذاري لكم في الدنيا إذا نزل بكم العذاب {وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ } يعني: كفار الأمم {فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ } أي: إنكاري عليهم بالعذاب.
{أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَـٰفَّـٰتٍ } أي: تصف أجنحتها في الهواء، وتقبض أجنحتها بعد البسط، وهذا معنى الطيران، وهو بسط الجناح وقبضه بعد البسط {مَا يُمْسِكُهُنَّ } أن يقعن {إِلاَّ ٱلرَّحْمَـٰنُ }.
{أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُمْ مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنِ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِلاَّ فِى غُرُورٍ * أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ * أَفَمَن يَمْشِى مُكِبّاً عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِى سَوِيّاً عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * قُلْ هُوَ ٱلَّذِى أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلأَبْصَـٰرَ وَٱلأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ * قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ * قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَاْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ }
قوله تعالى: {أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ } هذا استفهام إنكار. ولفظ «الجند» موحد، فلذلك قال تعالى: «هذا الذي هو» والمعنى: لا جُنْدَ لكم {يَنصُرُكُمُ } أي: يمنعكم من عذاب الله إن أراده بكم {إِنِ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِلاَّ فِى غُرُورٍ } وذلك أن الشيطان يغرهم، فيقول: إن العذاب لا ينزل بكم {أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ } المطر وغيره {إِنْ أَمْسَكَ } الله ذلك عنكم بل {لَّجُّواْ فِى * عُتَوْاْ } أي: تماد في كفر {وَنُفُورٍ } عن الإيمان.

ثم ضرب مثلا، فقال تعالى: {أَفَمَن يَمْشِى مُكِبّاً عَلَىٰ وَجْهِهِ } قال ابن قتيبة: أي: لا يبصر يمينا، ولا شمالا، ولا من بين يديه. يقال: أكب فلان على وجهه بالألف، وكبه الله لوجهه، وأراد: الأعمى. قال المفسرون: هذا مثل للمؤمن، والكافر. و«السوي» المعتدل، أي: الذي يبصر الطريق. وقال قتادة: هذا في الآخرة يحشر الله الكافر مكبا على وجهه، والمؤمن يمشي سويا.
قوله تعالى: {قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ } فيه قولان:
أحدهما: أنهم لا يشكرون، قاله مقاتل.
والثاني: يشركون قليلا، قاله أبو عبيد.
قوله تعالى: {ذَرَأَكُمْ } أي: خلقكم {وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ } يعنون بالوعد: العذاب {فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً } أي: رأوا العذاب قريبا منهم {سِيئَتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ } قال الزجاج: أي: تبين فيها السوء. وقال غيره: قبحت بالسواد {وَقِيلَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ } فيه قولان:
أحدهما: أن «تدعون» بالتشديد، بمعنى تدعون بالتخفيف، وهو «تفتعلون» من الدعاء. يقال: دعوت، وادعيت، كما يقال: خَبَرْتُ وَاخْتَبَرْتُ، ومثله: يَدَّكِرون، ويَذْكرُون، هذا قول الفراء، وابن قتيبة.
والثاني: أن المعنى: هذا الذي كنتم من أجله تدعون الأباطيل والأكاذيب، تدعون أنكم إذا متم لا تبعثون؟ وهذا اختيار الزجاج. وقرأ أبو رزين، والحسن، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، وابن أبي عبلة، ويعقوب: «تدعون» بتخفيف الدال، وسكونها، بمعنى تَفْعَلون من الدعاء. وقال قتادة: كانوا يدعون بالعذاب.
{قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَـٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ * قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُمْ بِمَآءٍ مَّعِينٍ }
قوله تعالى: {قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ } بعذابه {وَمَن مَّعِىَ } من المؤمنين. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «معيَ» بفتح الياء. وقرأ أبو بكر عن عاصم، والكسائي: «معي» بالإسكان {أَوْ رَحِمَنَا } فلم يعذبنا {فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَـٰفِرِينَ } أي يمنعهم ويؤمنهم {مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ } ومعنى الآية: إنا مع إيماننا، بين الخوف الرجاء: فمن يجيبركم مع كفركم من العذاب؟ أي: لأنه لا رجاء لكم كرجاء المؤمنين {قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ } الذي نعبد {فَسَتَعْلَمُونَ } وقرأ الكسائي: «فسيعلمون» بالياء عند معاينة العذاب من الضال نحن أم أنتم.
قوله تعالى: {إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً } قد بيناه في [الكهف:41] {فَمَن يَأْتِيكُمْ بِمَاء مَّعِينٍ } أي: بماء ظاهر تراه العيون، وتناله الأرشية.